أُمّ عمَارة تحَددٌ مَعَالِمَ المعرَكة

وتحدثنا أم عمارة عن سير المعركة أيضاً، فتكشف لنا عن جوانب أخرى من شخصيتها: فتصف لنا معسكر المسلمين فتقول:

أخبرنا عبد الجبار بن عمارة عن عُمارة بن غزيَّة قال: قالت أم عمارة: «قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نُفير ما يُتِمُّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذبّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني لا ترس معي، فرأى رجلاً مُوَلِّياً معه ترس، فقال لصاحب الترس: ألقِ تُرسك إلى من يقاتل، فألقى ترسه فأخذْتُه، فجعلْتُ أتترس به عن رسول الله ﷺ. وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله، فيُقْبِل رجل على فرس فضربني، وتترست له، فلم يصنع سيفه شيئاً، وولى، وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك أمك، قالت:

فعاونني عليه حتى أوردته شعوب!!»[1].

فأم عمارة هنا ليست مقاتلة عادية، لقد كانت تدرك أسرار هذه المعركة، ومواطن القوة والضعف فيها.

وها هي قد صورت لنا نقطة الخطأ عندما انكشف الناس عن رسول الله ﷺ بعد نزول الرماة عن الجبل، وانهزامهم أمام فرسان المشركين الذين فاجأوهم من خلفهم.

رأت الناس ينهزمون من المعركة، ولم يبق إلا نفر قليل، وصفته نسيبة بأسلوب التصغير «نُفَير ما يتمون عشرة».

ومن هؤلاء البقية الصادقين: نسيبة وزوجها وابناها.

نسيبة وزوجها وابناها في أحلك الظروف وأدقها ويصدون مع ويستبسلون في الذوذ عن النبي ﷺ طمعاً في رضوان الله.

وإن هذا يدل على مكانة هذه المرأة الصحابية ـ

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٣ ـ ٤١٤، وكلمة شعوب من أسماء المنية.

وعظيم تضحياتها. إن المرأة تخاف على ابنها أكثر من خوفها على نفسها أحياناً، ولا يقل خوفها على زوجها عن ذلك أيضاً، ومع هذا فقد كانت مع ابنيها وزوجها أكثر ثباتاً وشجاعة من أي امرأة أخرى، بل كانت شجاعتها تفوق شجاعة الرجال. وعاطفة الأمومة التي تشد المرأة لتحرص على الحياة، وتخاف على الولد لم تستطع أن تتغلب على عاطفتها نحو عقيدتها والتزامها بالبيعة، واستبسالها في الدفاع عن رسول الله ﷺ.

فها هي تقدم نفسها وزوجها وولديها في سبيل الله، تدفعهم للشهادة وتحثهم على القتال، وتقف أمامهم قدوة لهم تقاتل دفاعاً عن دينها، وحماية لرسول الله ﷺ.

إنها ـ في ذلك الموقف العظيم ـ لم تكن تنتظر ثناء من أحد، ولا كسباً من الدنيا.

والموقف ـ هناك ـ لم يكن موقف مقايضة أو مطمع، فالموت يحيط بهم من كل جانب، والرجل الأشداء ـ وبعضهم من أهل بدر ـ تركوا المعركة منهزمين، وجيش قريش يعود وراء فرسانه ليحيط بالقلة المؤمنة الصامدة ومعهم رسول الله ﷺ. ليستأصلهم إن استطاع.

ومع ذلك فهي تقف هنا أشجع ما تصوره لنا أحداث التاريخ لامرأة تنظر إلى أولادها وزوجها أمامها في بؤرة الخطر.

مع ذلك كله استطاعت أن تسمو فوق كل هذه الوشائج والعواطف والمخاطر، وجعلت أمر الإسلام، وسلامة العقيدة وحماية رسول الله ﷺ. فوق كل هذه الوشائج والمخاطر.

أما الأمر الآخر أن رسول الله ﷺ كان وهو في جراحه ورغم إحاطة المشركين به يتابع المعركة، ويوجه المقاتلين.

فها هو يرى الناس يمرون به منهزمين، ويرى أم عمارة تقاتل دونه وتتصدى لفرسان قريش، فيأمر رجلاً مولياً أن يلقي إليها ترسه حتى تقاتل وتحتمي من سهام المشركين.

لقد رضي الله ورسوله ﷺ عنها وعن قتالها، وكان لها من الفضل ما لم يصل إليه كثير من المؤمنين لأنها رسمت بموقفها ذاك أحلى صورة للإيمان، وأعطت أفضل مثل لحماة الدعوة وأبناء الإسلام على مدى الدهر.

وفضلاً عن هذا وذاك فقد دلت هذه الأحداث على دراية واسعة لنسيبة في القتال، ولا نظن أنها كانت تتدرب على القتال من قبل، ولو حدث ذلك لما كان تدربها قد وصل بها إلى حد يؤهلها لمقابلة الفرسان من المقاتلين، هذا ما يقتضيه منطق الحياة. ولكن منطق الدعوات يرى شيئاً آخر، شيئاً لا يفهمه إلا الذين عاشوا في أجواء الدعوة وصارعوا الجاهلية بكل صورها وألوانها ومكرها.

فهذه نسيبة تقاتل ابن قمئة، تضربه ضربات ويضربها حتى يصيبها في كتفها، مع أنه قتل مصعب بن عمير، وأصاب غيره من المسلمين، ولكنها تصدت له ووقفت تقاتله مقاتلة الند للند، ولكنه ـ كما قالت ـ كان يلبس الدرع المضاعفة لتقيه من ضربات المسلمين، ولهذا فقد نالت منه وضربته دون أن يتأثر من ضرباتها، أما هي فلم يكن على جسدها ما يقيها هذه الضربات.

ولقد وصفت لنا أحداث المعركة، وحددت مواطن الخطر والضعف فقالت: «وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله».

وهذا قول خبير يدرك أثر الإِعداد والحزم، ويعرف

أنواع السلاح والمقاتلين، وأثر الطاعة والالتزام بأمر رسول الله، وبالخطة المرسومة.

ولهذا وصفت لنا الساعات العسيرة هذه حيث تفوَّق العدو عدداً وعُدةً: خيول سريعة، وأسلحة موفورة وأعداد كثيرة، وأنواع عديدة من الأسلحة (كالرماح والسيوف والسهام) ومع هذا فلقد صمدت القلة المؤمنة بوجه الموجات المشركة، واستطاعت أن تحول دون تحقيق أغراضها، فلم تستطع القضاء على المسلمين، أو قتل رسول الله ﷺ رغم هجماتها وإلحاحها في ذلك.

ونسيبة كنموذج لهذه القلة المؤمنة الصامدة استطاعت أن تحطم آمال قريش، وتردها خائبة، وتقطع عليها الطريق للوصول إلى نصر حقيقي.

وكان هذا الموقف مدعاة لعودة المسلمين مرة أخرى ودفاعهم عن رسول الله، وثباتهم في المعركة. وبالتالي مطاردتهم لقريش رغم الضحايا والدماء التي حلت بهم.

ولولا فضل الله ورحمته ثم صمود نسيبة وإخوتها من المسلمين، لاستمرت قريش في مطاردة المسلمين ودخول المدينة، ولكن وقفة نسيبة هذه جعلتهم يدركون

أن استمرارهم في القتال انتحار لهم، وأن المعركة قد تعود مرة أخرى لتحل بهم الهزيمة.

فإذا استطاعت نسيبة والنفر القليل معها أن يحولوا دون فرسان قريش ومقاتليهم من الوصول إلى رسول الله ﷺ، فإن عودة المسلمين سيكون نكبة للمشركين.

وحسبنا أن نرى هذه الصورة التي رسمتها لنا نسيبة كما دارت على أرض المعركة بين فرسان المشركين والقلة المؤمنة الصادقة، وكانت هذه الصورة ذات دلالة عظيمة:

فيقبل رجل على فرس، فضربني، وتترست له، فلم يصنع سيفه شيئاً، وولى، وأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: «يا ابن أم عمارة أمك، أمك».

قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شعوب.

هذا اللقاء الحاسم بين نسيبة ـ المرأة المسلمة المجاهدة ـ وذاك الفارس المشرك جدير بأن يقف الإِنسان عنده يتأمّل ويفكر، ليدرك شيئاً من أسرار الإِيمان.

لقد وقفت أمامه ثابتة القلب والقدم، لا تنهزم ولا

تخاف. تعترض سبيله أولاً، وتحول دون وصوله إلى رسول الله ﷺ ثانياً ويحاول أن يبادرها بالضرب ولكنها تتقيه وتحبط عمله فلا يفعل شيئاً، ويخشى ضرباتها فيحاول الفرار ولكنها لا تتركه يفلت، وتلحقه بضربة سريعة فتصيب عرقوب فرسه، فيتخبط الفرس ويلقي بالفارس عن ظهره ورسول الله يرقب المصادمة، وقبل أن يقوم الفارس يصيح رسول الله لابن أم عمارة حتى يلحق بالفارس فيسرع هذا ليجهز معها عليه!! كانت راجلة وكان فارساً، وهي امرأة وذاك رجل، لكنها مسلمة وهو كافر وهنا يثقل بها الميزان وترجح الكفة، وتتغلب عليه وسط المعركة الحامية.

أية امرأة هذه؟ وأي ثمر يصنعه الإيمان إذا ما أصبح في القلب والفكر والجسد والحياة معاً؟

وإذا كانت تلك صورتها في مصادمة الفرسان، فلننظر إلى موقفها من أبنائها في المعركة.

والمرأة تخاف أكثر ما تخاف على ولدها، وقد يبلغ بها الأمر إلى التضحية بنفسها لإنقاذ ولدها إذا داهمته الأخطار، وهذا شيء من فطرتها ولكن هذه الأمور يصبح لها ترتيب آخر في ميزان الإسلام.

فالعقيدة أغلى من النفس والمال والولد، وحب الله ورسوله قبل حب الولد والزوج والأخ والأب، والنفس أيضاً.

ولهذا فقد كان أهون عليها أن تلقى وجه الله عز وجل، وأن ترى زوجها وابنيها يلقون الشهادة في سبيل الله من أن ترى الدعوة يحدق بها الخطر، أو رسول الله يصيبه الأذى.

عن عبد الله بن زيد ـ ابن نسيبة ـ قال: جرحتُ يومئذٍ ـ في أُحد ـ جرحاً في عضدي اليسرى، ضربني رجل كأنه الرقل (الجمل السريع) ولم يعرج عليّ (ليقتلني) ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ (لا ينقطع)، فقال رسول الله ﷺ: «اعصب جرحك»[1].

فَتُقْبِلُ أمي إليّ، ومعها عصائب في حقويها (الحقو: الخصر أو الإزار) قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي، والنبي ﷺ ينظر إليّ، ثم قالت: انهضْ بنَيَّ فضارب القوم.

فجعل النبي ﷺ يقول: «ومَنْ يطيق ما تطيقين يا أمَّ عمارة»[2]!! فلترقبْ عيون الرجال هذا المشهد العظيم،

---

(١)(٢)ابن سعد ٨/ ٤١٥ من طريق الواقدي.

ولتنظر نساء المسلمين هذه الصحابية المجاهدة، ولتسمع أجيال المسلمين كيف تحمى حوزة الدين وكيف يكون الجهاد في سبيل الله عز وجل.

العاطفة، والأمومة، والأنوثة، والحياة كلها لا تساوي شيئاً أمام العقيدة إذا واجهت دعوة الله تهديداً وخطراً.

أمٌ حنون وفيَّة صادقة، لكن الأمر هنا أعظم وأهم من الولد وكل ما في الكون.

وامرأة زوجة وفية ولكن الدعوة أكثر أهمية من الزوج ومن كل مطامع الدنيا.

وهي في كل ذلك المسلمة الصادقة الوفية، التي بايعت رسول الله ﷺ على الوفاء والصدق والإيمان، وعرفت معنى البيعة وحقيقة دخولها في الإسلام، فلم تعد تنظر للأمر بغير نظرة الإسلام، ولم تزن الأحداث بغير ميزان الدعوة.

جاء الأعداء وهم يريدون ﴿أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ وتهون عند المسلم التضحيات.

فإذا أصابت ابنها الجراح، أو نالت من زوجها الصعاب، أو خلصت إليها الضربات والطعان فإن هذا لا

يقعدها عن مواصلة الجهاد، فالأمر أكثر أهمية مما يصيبها.

وعاطفة الأمومة هي التي تدفعها لأن تُنْهِضَ ابنها لمواصلة الجهاد، لأنها تدرك أن أفضل ما تقدمه أم لابنها هذه الهداية العظيمة، والشهادة والجهاد في سبيل الله.

إنها تلبسه بيديها ثوب النصر، والعزة عند الله عز وجل.

إنها تعرف ما أعد الله للمجاهدين والشهداء، فلماذا تخشى على ابنها إذن؟ ومم تخاف؟ إنه بين يدي ربه، وأمام أنظار رسوله، وطريقه طريق الجنة، وحياته حياة الشهداء، فلماذا تخاف عليه الجراح والقتل؟ جاءت إليه تعصب جراحه حتى لا تمنعه الجراح من مواصلة الجهاد، ثم دفعته بعاطفتها وحنانها وصدقها: «انهض بني فضارب القوم».

وحين تبلغ هذا الأفق السامي: من الإيمان، والوعي والصدق، والتضحية تنال شهادة القائد ـ وأى قائد؟ ـ وتحظى بثناء رسول الله ﷺ: «ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟».

ولكي نكمل هذا المشهد الحي نتابع المعركة:

قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله ﷺ: هذا ضارب ابنك، قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه فبرك.

قالت: فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه.

وقال: اسْتَقَدْتِ يا أمَّ عمارة[1].

ثم أقبلنا نعله بالسلاح، حتى أتينا على نفسه، فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي ظفّرك وأقرّ عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك.

تلك هي الصورة الرائعة، الواقعية لأم عمارة في أُحد وهي ترى ابنها جريحاً، أو تقتص من عدوها المشرك.

والمرأة التي تبلغ بإيمانها هذه الصورة التي يحبها الله ورسوله هي المرأة التي تحسن تربية الأبناء وإعدادهم إعداداً صحيحاً.

وهي المرأة التي تقوم بشأن زوجها وتعينه على طاعة الله والجهاد في سبيله، وهي التي تجعل من الأسرة

---

(١) استقدت: أي اقتصصت لابنك. انظر ابن سعد.

كلها أسرة إسلامية مجاهدة حين تتحول العواطف الإنسانية إلى عاطفة سامية تسترشد بمنهج الله، وتخلص لله ورسوله، وتسعى لمرضاة الله عز وجل.

إنها هي التي تمهد السبيل لزوجها وأولادها لحمل راية الدعوة، والجهاد في سبيل الله، والسعي لمرضاة الله عز وجل.

وهي التي تحذر أسرتها من الوقوع في المعصية، أو إثم النكوص أو القعود والتقصير والخوف من الجهاد في سبيل الله.

ولكم كانت العاطفة الساذجة، والأمومة الضالة عقبة أمام الأبناء وحائلاً دون الجهاد؟

ولكم كانت المرأة تسلك أمام أبنائها طريقاً مهلكاً، وهي تظن أن ذلك حباً ووفاءً، وحرصاً وخوفاً عليهم من الأذى والموت.

ولو وقفت المرأة عند هذا الحد لكان الأمر هيناً.

بل غدت اليوم عاملاً مهماً تستغله الجاهليات الحديثة لإفساد الشباب وامتصاص طاقاتهم، وإشغالهم عن الغايات السامية.

وأضحت غرضاً يسعى إليه الساعون بعد أن صنعت

منها الجاهلية صورة مغرية، وألهبت من أجلها عواطف الشباب وأحاسيسهم.

المرأة في العالم الإسلامي تقف بين بين، وتريد أن تقلد المرأة الغربية في كل ما وصلت إليه من إسفاف وتبذل وسقوط.

وأعوان الشيطان يزينون لها هذا التبذل والسقوط، ويرفعون لها رايات خادعة من التحرر والحقوق، والعمل، ومشاركة الرجل و... ولكنها مع ذلك خسرت معركتها.

فلم تعد ربة البيت المصانة المحبوبة، ولم تستطع أن تكون مثل الرجل لأنها فطرت لغير ما فطر له الرجل.

خسرت معركتها لأنها ـ وقد تركت مملكتها ـ أصبحت عرضة لنزوات الرجل وطيشه في كل مكان.

وما زال يلفها البؤس، وتكتوي بنيران الحضارة الحديثة. ومع كل الذي يدّعونه من حرية ومساواة، فإننا لم نجد واحدة استطاعت أن تتطلع إلى ذلك الأفق الذي وصلت إليه المرأة المسلمة.

المرأة الجاهلية مع كل ما بين يديها من وسائل العصر الحديثة، وما تحيطها به المدينة الحديثة، لم

تستطع أن ترنو إلى الأفق الذي وصلت إليه المسلمة ابنة الصحراء، التي لا تعرف هذه الوسائل وإنما تعرف ربها فقط.

وتلك وحدها هي التي صنعت الحضارة، وفهمت الحياة، وقامت بدورها كاملاً، ودفعت أفواج الفاتحين شرقاً وغرباً لتحرير الإنسانية من عقائدها الفاسدة ـ وبناء الحضارة ـ الإنسانية الصحيحة.

وتلك وحدها هي التي ربت الأبطال وأنشأت الرجال.

عن عبد الله بن زيد بن عاصم يقول: شهدت أُحداً مع رسول الله ﷺ فلما تفرق الناس عنه دنوت منه أنا، وأمي تذبّ عنه، فقال: ابن أم عمارة؟ قلت: نعم.

قال: ارم، فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت عليه منها وقراً، والنبي ﷺ ينظر ويبتسم.

ونظر جرح أمي على عاتقها فقال: أمك أمك، أعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت،

ومقام ربيبك ـ يعني زوج أمه ـ خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت.

قلت: ادع الله أن نرافقك في الجنة.

فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا[1].

هذه هي الصورة العملية لفهم القرآن، تترجمه أم عمارة سلوكاً وعملاً، إدراكاً، وتطبيقاً، في البيت والسوق والحرب، وفي ممارسة الحياة كلها.

لم يكن إسلامها نطقاً لكلمة الشهادة وكفى.

ولم يكن ركعات تؤديها أو أياماً تصومها وكفى.

ولم يكن عاطفة حنان، ورقة شعور تدفعها للبذل وكفى.

ولم يكن شعاراً تلبسه، وزياً ترتديه وكفى.

كان الإسلام حياة لها، وتسليماً لرب السماء والأرض بكل شيء

---

(١) ابن سعد ٨/ ٤١٤ ـ ٤١٥.

كان الإِسلام لها حياة ممتدة فسيحة، في الدنيا والآخرة.

وميزانها في أمور الحياة هو الإِسلام: فيه الربح، وبغيره الخسارة، فيه السعادة وفي غيره الشقاء، فيه الخير وفي غيره الشر، فيه التقدم وفي غيره التأخر، فيه الإِنسانية وفي غيره الهمجية.

سعت إلى مرضاة الله وهي أغلى غاية يسعى إليها المخلوق، وفي سبيل نيلها تهون التضحيات: بالنفس والمال والزوج والولد.

وحين يُعصى الله وتنتهك حرماته، ويخرج عن طاعته، فلا ربح ولا سعادة ولا طمأنينة ولا تقدم.

وحين عاشت في ظل المنهج الإِلهي: في التصور والسلوك، في الإِدراك والتطبيق، تحولت من امرأة ليس لها شاغل غير الثرثرة والزينة، والألهيات الصغيرة مما تعبث به نساء الجاهلية، إلى تلك المرأة العظيمة البطلة التي لا يصل إلى مستواها الرجال.

حينها أضحت في كل ميدان أمثولة وقدوة:

فهي فتاة طاهرة واعية تنظر إلى الحياة بأمل وثقة.

وهي زوجة وفية تشيع في بيتها الحب والوئام والمسؤولية.

وهي أم مرشدة تنشئ بنيها على الحق وحب الخير وطاعة الله والرجولة.

وهي داعية مجاهدة، تلتزم منهج الله، وتقوم بمهمتها في كل المواطن كأحسن ما ينبغي.

هذه هي البيعة الحقيقية، وهذا هو إسلام المرأة.

وهذه الصورة الواقعية في النفس والضمير، للفرد وللمجموع لهذه المعركة العظيمة التي وصفت لنا أحداثها نسيبة فأعطت صورة لمعسكر الصف الإِسلامي فلننظر كيف كان معسكر المشركين.

أما معسكر قريش فلقد حددت معالمه أيضاً من خلال الرواية السابقة، وأعطت صورة عن نساء المشركين أيضاً: حين سئلت عن ذلك.

قيل لأم عمارة: يا أم عمارة، هل كن نساء قريش يومئذٍ يقاتلن مع أزواجهن؟

فقالت: أعوذ بالله، لا والله ما رأيت امرأة منهن، رمت بسهم ولا حجر، ولكن رأيت معهن الدفاف والإِكبار يضربن ويُذَكِّرْنَ القوم قتلى بدر، ومعهن مكاحل

ومراود فكلما ولى رجل أو تلعلع ناولته إحداهن مروداً ومكحلة[1] ويقلن: إنما أنت امرأة!!، ولقد رأيتهن ولّينَ منهزمات مشمرات، ولها عنهنَّ الرجال أصحاب الخيل، ونجوا على متون خيلهم، وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن، فجعلن يسقطن في الطريق، ولقد رأيت هند بنت عتبة، وكانت امرأة ثقيلة، ولها خلق، قاعدة خاشية من الخيل، ما بها مشي، ومعها امرأة أخرى حتى كثر القوم علينا، فأصابوا منا ما أصابوا»[2].

وهذا الوصف على قصره وبساطته يصور الفرق الكبير بين المرأة الجاهلية والمرأة المسلمة التي تحمل العقيدة، فضلاً عن أنها تصف المعركة، وتوضح كيف انهزم المشركون حتى نسي الفرسان منهم النساء، وتركوهن بلا حماية ناجين بأنفسهم، فارين على خيولهم، حتى كادت هند بنت عتبة أن تُقتل يومئذٍ بسيف رسول الله ﷺ[3] لولا أنه ترفع عن قتل امرأة عزلاء.

وهند التي كانت في مكانة رفيعة من النسب

---

(١) المراود: ج مرود وهو المِيل الذي يستعمل لكحل العيون. تلعلع: تلكأ وتراجع.

(٢) أعلام النساء ـ عمر رضا كحاله ٥ ـ ١٧١ ط٢.

(٣) كان هذا السيف مع أبي دجانة.

والشهرة والمكانة ـ فهي زوجة أبي سفيان، وابنة عتبة بن ربيعة، وأخت الوليد بن عتبة، وأم معاوية ـ المرأة الذكية الجسورة، ومع هذا لم تصل مشاركتها في المعركة لأبعد من إثارة القوم، ورد الهاربين وتأجيج نيران الثأر.

لقد أثارت الأحقاد قبل المعركة، وأججت الحماس ودفعت زوجها لحشد قريش للأخذ بالثأر، ووَتْرَت القلوب وأرادت أن تثأر لمقتل أبيها وأخيها وعمها في بدر، ومع هذا لم تفعل شيئاً غير إثارة الحماس ودفع الرجال للقتال، ثم التمثيل بحمزة بعد المعركة.

لم تحمل سيفاً، ولم تضرب بسهم، ولم تتصد لمقاتل، بل كان سلاحها مكاحل ومراود ودفوف، ولا تزيد عن ذلك شيئاً.

وبدت لنا الصورة واضحة كما وصفتها نسيبة تبين الفرق الكبير بين النساء المسلمات وبين المشركات لقد كانت المعركة عند النساء المسلمات معركة العقيدة دفعتهن للتضحية بالمال والزوج والولد، بل وللوقوف مع الرجال بالسيوف والرماح والنبال.

بينما كانت المعركة عند المشركات معركة ثأر

وضغينة، فلما اشتد القتال ولى الرجال وتخلى النساء، وكادت تكون الدائرة الكاملة على قريش التي جاءت تحارب الله ورسوله، لولا أن الله عز وجل أراد بالمؤمنين شيئاً آخر، فامتحنهم، وعلّمهم دروساً في آداب المعركة وشروطها لن تنسى.

obeikandl.com